

علم الدلالة / المفهوم والعلائق

Semantics/concept and relevance

د. ياسين بغورة¹

yassinebeghoura@yahoo.fr

جامعة برج بوعريج

تاريخ النشر: 2019/11/06

تاريخ القبول: 2019/06/08

تاريخ الاستلام: 2019/12/10

ملخص: إن الاهتمام باللغة حتمية اجتماعية، كونها ذخيرة الأمة، وركيزتها التي تبنى عليها حضارتها ومجدها، وهي وسيلة تواصلية تحقق تفاعل المجتمع واستمراره، واللغة مجموعة من المستويات المتكاملة التي تحقق باجتماعها، المعاني المرادة، ولا تتحقق هذه الفائدة إلا بتوفر المستوى الصوتي والصرفي والنحوي، ثم يأتي المستوى الدلالي الذي يتوقف عند المعنى، لذلك تستوقفنا هذه الدراسة عند هذا المستوى، لما يحمله من أهمية بالغة في الدرس اللغوي، محاولين الإجابة ع إشكالية متعلقة بالمفهوم والعلائق.

الكلمات المفتاحية: الدلالة، اللغة، المستويات، المعنى؛.

interesting in language is a social necessity since it is considered not only as the linguistic provision of any nation and the pillar on which it builds its own civilization and glory, but also the means of communication that ensures interaction and continuity of society. In fact, the language is a set of levels that complement each other and ensure by their meeting the desired meanings, but it is impossible to reach this goal only by the union of the phonological, morphological and grammatical levels, then that of the semantics in which is formed. meaning. This is why this study tries to take an interest in this last level, in particular to answer to the problematic relating to the concepts and relations.

Keywords: significance, language, levels, meaning.

¹ - المؤلف المرسل: ياسين بغورة، الإيميل yassinebeghoura@yahoo.fr

لا يستطيع الإنسان أن يعيش بمنأى عن مجتمعه، فهذه طبيعة البشر تحتاج إلى التأثير والتأثر والعيش والتعايش، ولا يتحقق ذلك إلا بوجود طرائق لحفظ هذه العلاقات وتحقيق الاستمرارية، وهذا يتطلب لغة تحفظ عملية التواصل الاجتماعي.

واللغة تستوجب فك رموزها لتبليغ الرسالة وبلوغ العملية التواصلية، والدلالات مسؤولة عن فك الإبهام وتحقيق التواصل، وهذا ما تبناه علم اللغة ووضعه اللغويون على عاتق علم الدلالة. وقبل الحديث عن نشأة علم الدلالة وتاريخه وعلاقته بالعلوم الأخرى، ينبغي علينا أولاً أن نقف عند مفهومه.

1- علم الدلالة: 'توصيف المصطلح': إذا أردنا أن نعرف علم الدلالة، فإنه يستوقفنا المصطلح أولاً، فنقول: جاء في تهذيب اللغة للأزهري في قسم (دلل):

"دَلّ، يدلّ، إذا هدى، ودلّ إذا منّ بعبطائه، والأدلّ: المتأن بعلمه، والدليل من الدلالة، بالكسر والفتح، ودللت بهذا الطريق دلالة، أي عرفته"¹

"والدلالة مصدر كالكتابة والإمارة، والدال من حصل منه ذلك، والدليل في المبالغة كعالم وعليم وقادر وقدير، ثم يسمى الدال والدليل دلالة، كتسمية الشيء بمصدره"².

علم الدلالة في الاصطلاح:

حدد مفهوم علم الدلالة بيير غيرو بقوله: "علم الدلالة هو دراسة معنى الكلمات"³ وعرفه يانسن: "هو العلم الذي يبحث في معاني الكلمات وأجزاء الجمل، ونعني بذلك علم الدلالة اللغوي، أي ذلك العلم الذي يبحث في اللغات الطبيعية عندما يعتمد على نظرية معينة لتفسير المعنى ويعد هذا العلم فرع من فروع علم اللغة وأداة اللغة فيه هي اللفظ أو الكلمة"⁴

وهناك من يرى أن الدلالة هي السياق أو الأسلوب⁵. أما في اللغة الإنجليزية فقد أطلقت عليه عدة أسماء "أشهرها الآن كلمة semantics وفي اللغة العربية بعضهم يسميه علم الدلالة بفتح الدال وكسرهما وبعضهم يسميه علم المعنى"⁶ ويحذر أحمد مختار عمر من استعمال كلمة الجمع وهي علم المعاني لأن علم المعاني فرع من فروع البلاغة، وبعضهم يطلق عليه اسم السيمانتيك أخذاً من الكلمة الإنجليزية أو الفرنسية.

يعرفه أحمد مختار عمر أنه دراسة المعنى أو العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى، أو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادراً على حمل المعنى.⁷

ويقف الجرجاني عند الدلالة ويقول فيها: "الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر"، أي هي إحالة بمعنى آخر أو إحياء لمعان جديدة انطلاقاً من الكلمة الأولى.

2- موضوع علم الدلالة: من خلال التعريفات السابقة يتبين أن موضوع علم الدلالة هو كل شيء يقوم بدور العلامة أو الرمز، وتختلف هذه العلامات أو الرموز وتكون إما إشارة باليد أو إيماءة بالرأس، أو كلمات وجملا، قد تكون هذه العلامات والرموز غير لغوية وتحمل معنى.⁸

ورغم هذا الاهتمام الذي يبديه علم اللغة بدراسة الرموز وأنظمتها حتى ما كان منها خارج نطاق اللغة، فإننا نجد أنه يركز على اللغة من بين أنظمة الرموز باعتبارها ذات أهمية خاصة بالنسبة للإنسان، ومن الموضوعات التي يتناولها هذا العلم " البنية الدلالية للمفردات اللغوية، العلاقة الدلالية بين المفردات، الكثرادف والتضاد، المعنى الكامل للجمل والعلاقات القواعدية بينها، علاقة الألفاظ اللغوية بالحقائق الخارجية التي تشير إليها".⁹

وإذا نظرنا إلى الغرب نجد أن بعض الأبحاث التقليدية السائدة عندهم، تعرف باسم علم الدلالة التاريخي، الذي يدرس الكلمة المفردة، وتاريخها وتطور معانيها عبر العصور.¹⁰

3- نشأة علم الدلالة:

3-1- تاريخ علم الدلالة عند غير العرب: إذا أمعنا النظر في الدراسات القديمة، نجد أنها ولا شك تطرقت في بحوثها ومناقشات موضوعات تعد من صميم علم الدلالة، ومعنى هذا أن الدراسة الدلالية قديمة قدم التفكير الإنساني ومواكبة لتقدمه وتطوره.¹¹

وقد بين أرسطو الفرق بين الصوت والمعنى، وذكر أن المعنى متطابق مع التصور الموجود في العقل المفكر، كما ميز بين أمور ثلاثة:

أ- الأشياء في العلم الخارجي

ب- التصورات: المعاني

ج- الأصوات: الرموز أو الكلمات

" واستمد الداليون ما كان لدى البلاغيين منذ أرسطو، وفسروا تغييرات المعنى لغويا في المجاز والاستعارات، كما أنهم تابعوا تحليل التصورات فلسفيا وربطها بالحقيقة وبالأشياء، ثم ركزوا بحوثا لهم في علاقات الرموز بمدلولاتها".¹²

وكان موضوع العلاقة بين اللفظ ومدلوله من القضايا التي تعرض لها أفلاطون في محاوراته عن أستاذه سقراط، وكان اتجاه أفلاطون نحو العلاقة الطبيعية الذاتية، مدعيا أن تلك الصلة الطبيعية كانت واضحة، سهلة التفسير في بدء نشأتها، ثم تطورت الألفاظ ولم يعد من اليسير أن نبين بوضوح تلك الصلة، نجد لها تعليلا وتفسيرا.¹³ و أوضح أرسطو آراءه عن اللغة وظواهرها في مقالات تحت عنوان الشعر والخطابة، " وبين فيها عرقية الصلة بين اللفظ ومعناه".¹⁴

وقد تساءل اليونانيون عن ماهية اللغة وأصلها ، وعن ماهية الكلمة ، وتساءلوا ، هل هناك علاقة طبيعية وضرورية بين الكلمة وبين الشيء الذي ترمز إليه.

أتعلق المعاني بالكلمة تعلق بالطبع أم تعلق بالاصطلاح؟¹⁵ أما الهنود فلم يكونوا أقل اهتماما بمباحث الدلالة من اليونانيين ، فقد عالجوا منذ وقت مبكر كثيرا من المباحث المرتبطة بفهم طبيعة المفردات والجمل " بل لا نغالي إذا قلنا إنهم ناقشوا معظم القضايا التي يعتبرها علم اللغة الحديث من مباحث علم الدلالة."¹⁶

وفي أواخر القرن التاسع عشر تبلور مصطلح علم الدلالة في صورته الفرنسية على يد اللغوي الفرنسي بريال Breal "ليعتبر عن فرع من علم اللغة العام هو علم الدلالات ليقابل علم الصوتيات الذي يعنى بدراسة الأصوات اللغوية"¹⁷ وهذه الدراسة تعد أولى الدراسات العلمية الحديثة الخاصة بالمعنى التي قام بها ميشيل برييل في كتابه 1897Essai de sémantique وكانت جهود برييل مأخوذة من دراسة اللغات الكلاسيكية اليونانية واللاتينية والسنسكريتية ، وكانت الدراسة الدلالية عند برييل متعلقة بالاشتقاق التاريخي ، ويبدو أن برييل كان يرى في الأصول التي تحكم تغيير المعنى خصائص عقلية مجردة، وذلك مثل الحاجة إلى الوضوح.¹⁸

و يتضح من هذا أن برييل ومن بعده بقليل كانوا لا يعنون العناية الواجبة بالجوانب الاجتماعية وغير الاجتماعية للظروف الإنسانية المتغيرة .

و ظهر كذلك عمل لغوي ضخم للعالم السويدي أدولف نورين بعنوان Adolf Noreen ' لغتنا' وكان هذا في أواخر القرن التاسع عشر كذلك ، خصص فيه قسما كبيرا لدراسة المعنى ويعتبر سابقا في الكثير من النتائج التي توصل إليها ، وتعد أفكاره أساسا للكثير من النظريات التي طورها اللغويون الأوروبيون و الأمريكيون فيما بعد، وبعده ظهر العالم ماكس ميلر Max Maller وهو ممن أسهم في وضع أسس دراسة المعنى.¹⁹ وتتابعت الدراسات الدلالية بعد ذلك فخصص كريستوفر Kristoffer مجلدا كاملا من كتابه ' دراسة تاريخية لنحو اللغة الفرنسية ' خصصه للتطور السيمانتيكي سنة 1913، ونشر فيستاى Gustay سنة 1931 دراسة عن المعنى وتطوره ، ويعتبر أولمان بداية الثلاثينيات أهم فترة في تاريخ السيمانتيك ، فقد شهدت نضوج العلم الجديد وشهدت توسيع الفجوة التي هددت بتمزيق وحدته.²⁰

كما ارتبط علم الدلالة في هذه الفترة بأسماء مثل Alfred, Richards ، وأخرج الأولان عملا في علم المعنى تحت عنوان The maining of maining عام 1923 ، وحاولا فيه أن يضعوا نظرية للعلامات والرموز، وقدموا ستة عشر تعريفا للمعنى.²¹

واختلف الأمر في الولايات المتحدة الأمريكية ، إذ أن الدراسات الدلالية حققت نجاحا على يد الأنروبولوجيين والسيكولوجيين أكثر منها على يد اللغويين ، وقدموا للعالم دراسات مقارنة لكثير من الحقول أو المجالات الدلالية ، مثل : ألفاظ القرابة و أسماء الأمراض و أسماء الألوان²²

أما المؤلفون الأوربيون فيبرز منهم أسماء كثيرة منها :

Olmen أولمان-الذي أثرى المكتبة اللغوية بكتب متعددة في علم الدلالة 'أسس علم المعنى علم المعنى ، المعنى و الأسلوب، دور الكلمة في اللغة'.

Lyons -ليونس - والذي أصدر عدة كتب في علم اللغة منها: علم الدلالة التركيبي، علم الدلالة.²³

2-3 – اهتمامات العرب: يعد البحث في دلالات الكلمات من أهم ما لفت اللغويين العرب و أثار اهتمامهم ، والجهود والأعمال اللغوية المبكرة تعتبر من مباحث علم الدلالة ، مثل : تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم ، الحديث عن مجاز القرآن ، ومثل التأليف في: الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، إنتاج المعاجم الموضوعية ، معاجم الألفاظ و حتى ضبط المصحف بالشكل، يعد في حقيقته عملا دلاليا ، لأن تغيير ضبط الحركات يؤدي إلى تغيير وظيفة الكلمة ، وبالتالي تغيير المعنى.²⁴

أما ابن خلدون في مقدمته فيذكر علم أصول الفقه، وما يلزم دارسيه فيقول: "يتعين النظر في دلالة الألفاظ، وذلك أن استفادة المعاني على الإطلاق من تراكيب الكلام على الإطلاق يتوقف على معرفة الدلالات الوضعية مفردة ومركبة ... ثم إن هناك استفادات أخرى خاصة من تراكيب الكلام ، فكانت كلها من قواعد هذا الفن ولكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية."²⁵

يعد كلام ابن خلدون دليلا واضحا على وجود علم الدلالة منذ القديم وعلى اهتمام العرب به كونه حسب ابن خلدون أداة فاعلة للوصول إلى المعاني المبتغاة ، وعلى هذا الأساس نستطيع القول أن علم الدلالة يكتسي أهمية بالغة منذ زمن ، وكذا مكانة خاصة كونه يسلط الضوء ويحاول الوصول إلى المعنى مهما اختلف سياق الكلام ونوعه ، فيتعدى هذا العلم اهتمامه بالنص الأدبي، إلى علم الأصول وغيرها من العلوم، وعلى هذا يمكن الاعتراف بشمولية علم الدلالة .

ويؤكد النقاد على أن علم الدلالة يملك جذورا ضاربة في تراثنا العربي قبل أن تتمخض الدراسات الغربية ، باعتباره علما قائما بذاته ، " فقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي في كتابه ' العين ' حين يبحث في تراكيب الكلمات من مواردها الأولية في الجذر البنيوي الحرفي ، هو الرائد الأول لهذا الباب لأن مهمته كانت لغوية إحصائية ولكنها تشير إلى دلالة الألفاظ كما يفهمها المعاصرون بقصد أو غير قصد."²⁶ ويرى عقيد خالد حمودي العزاوي أن الجاحظ قد تناول في كتابيه البيان والتبيين والحيوان مباحث لها ارتباط بعلم الدلالة ، فقد تناول الدلالة السياقية وتكلم فيها عن مناسبة الكلام لمقتضيات المقام، يقول الجاحظ: " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم المعاني على أقدار المقامات، وأقدار

المستمعين على أقدار تلك الحالات"²⁷ إذن هنا يتحدث الجاحظ عن الدلالة وأبعادها المخصصة لها دون أن تتعدى حدودها وتتجاوز مفهومها. وتنوعت اهتمامات العرب بعد ذلك فخطت جوانب كثيرة من الدراسة الدلالية ومن ذلك:

- محاولة ابن فارس الرائدة في معجمه 'المقاييس' ربط المعاني الجزئية للمادة بمعنى عام يجمعها.
- محاولة الزمخشري الناجحة في معجمه 'أساس البلاغة'، التفرقة بين المعاني الحقيقية والمعاني المجازية
- محاولة ابن جني ربط تقلبات المادة الممكنة بمعنى واحد.
- البحوث الدلالية التي امتلأت بها الكتب مثل: المقاييس لابن فارس، الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس، الخصائص لابن جني.....

- أبو منصور الثعالبي الذي نلمح أن منهج التنظير المتتابع متكامل لديه في التنقل بين حقول الألفاظ الدلالية، فمن دلالة لغوية إلى أخرى مجازية إلى أخرى نقدية، مترقيا بذلك في اللفظ بالدلالة من صيغة إلى صيغة.²⁸

- عبد القاهر الجرجاني يعد من الذين أحسنوا في تحليل وتصنيف أقسام الدلالة، وعمل نقاد العصر الحديث على وضع مقاربة بين ما قدمه الجرجاني وما قدمته البحوث الحديثة، وجدوا أنها متطابقة فقد قدم نظرية في النظم التي تكلم فيها عن الصيغة الفنية التي خلص إليها في شأن الدلالة، وقد كرس الجرجاني اهتماماته في نظرية النظم، على العلاقة بين اللفظ والمعنى.²⁹
وحديثا ظهرت أعمال إبراهيم أنيس، محمود السعران، تمام حسان، أحمد مختار عمر..... وغيرهم ممن أنروا المكتبة اللغوية العربية.

4- علم الدلالة ومستويات البحث اللغوي:

4-1- علم الدلالة وعلم الأصوات: إن طبيعة العلاقة بين جرس الكلمة ومعناها الذي تؤديه، موضوع تطرق إليه العلماء والباحثون منذ وقت مبكر، أي منذ مواجهتهم إعجاز القرآن الكريم، واستخراج الأحكام الشرعية واللغوية منه، سواء من علماء الفقه والأصول أو علماء اللغة والمفسرين، إدراكا منهم للدور الفعال الذي تؤديه الأصوات للوصول إلى المعاني المرادة من النص القرآني، فدرسوا القيمة التعبيرية للأصوات، ومدى اتفاق المعنى مع جرس الحرف المختار، وكان الخليل بن أحمد الفراهيدي من أوائل اللغويين الذين تنهوا إلى العلاقة الكامنة بين جرس الأصوات ودلالاتها إذ جاء عنه قولهم: كأنهم- يعني الناطقين العرب- توهموا في صوت الجندب استطالة ومدما، فقالوا (صر)، وتوهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا (صرصر)³⁰، هذا يبين ترابطا وثيقا بين اللفظة والصوت فكلمتا تغير الصوت تغير معنى الكلمة، فاستمرارية النغمة تؤدي معنى مغايرا للنغمة المتقطعة.

"أما سيبويه فربط المصادر التي جاءت على وزن (الفعلان) بالاضطراب والحركة، مثل: (الغثيان، الغليان...) "³¹ فالصوت عنصر مؤثر في الدلالة إذ تتغير هذه الأخيرة بتغير النبرة الصوتية، وابن جني منذ أكثر من ألف سنة استوعب فكر أسلافه في هذا الميدان ، وبني عليه درسا متكاملا، فقد انطلق في دراسته و أبحاثه من الملامح التي رسمها الخليل وسيبويه ، فقال في باب (إمساس الألفاظ أشباه المعاني): مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث باب عظيم واسع... من ذلك قولهم: خضم وقضم، فالخضم للأكل الرطب كالبيطيخ ، وما كان نحوه من المأكول الرطب، والقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها...³² ، فالحاء مرتبطة بالرخاوة والقاف بالصلابة والشدة، فتغير الحرف أو الصوت يؤدي إلى تغير في المعنى وفي الدلالة ، يقول الله تعالى: "فيها عينان نضاختان"³³ فالنضخ كما هو معلوم للماء، وفي الآية الكريمة وردت لفظة (نضاختان) بالحاء، فهي للدلالة على الشدة والقوة، إذن الحاء مرتبطة بالضعف ، والحاء بالقوة.

ويرى بعض اللغويين أنه إذا حدث إبدال أو إحلال صوت ما، في كلمة بصوت آخر في كلمة أخرى أدى ذلك إلى اختلاف دلالة كل منهما عن الأخرى ، ويعرف هذا الإحلال الصوتي في علم اللغة الحديث ، بالتوازن التقابلي، إذ يحل فونيم محل آخر في كلمة ما، فتنشأ كلمة ذات معنى مختلف.³⁴ و الأمثلة في هذا الشأن كثيرة ومتنوعة ، ونحن هنا أردنا أن نبين تلك العلاقة الضرورية التي تربط علم الدلالة بعلم الأصوات.

2-4- علم الدلالة وعلم الصرف: ينبغي أولاً أن نعرف علم الصرف ونقف عند مفهومه اللغوي والاصطلاحي فنقول: جاء في شذا العرف في فن الصرف " الصرف ويقال له التصريف وهو لغة : التغيير ، ومنه تصريف الرياح أي تغييرها.

اصطلاحاً: تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعان مقصودة لا تحصل إلا بها ، كاسم الفاعل والمفعول، واسم التفضيل و التثنية والجمع إلى غير ذلك. وبالمعنى العلمي : علم بأصول يعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليست بإعراب ولا بناء"³⁵

وتتغير دلالة الألفاظ بتغير الصيغة الصرفية ، فلا يكفي لبيان معنى (استغفر) بيان معناها المعجمي المرتبط بمادتها اللغوية(غ ف ر) ، بل لابد أن يضم إلى ذلك معنى الصيغة وهي هنا وزن(استفعل)، أو الألف والسين والتاء التي تدل على الطلب،³⁶ فنجد في اللغة العربية لفظة (قطع) تفيد الفصل لكن لفظة (قطع) بالتضعيف توحى بالمبالغة ، وتعدت هنا المعنى الأول إلى المعنى آخر، ومثل ذلك قوله تعالى في امرأة العزيز: "وغلقت الأبواب."³⁷ فقد جاء الفعل على صيغة (فعل) بالتضعيف، ليتعدى مجرد الغلق البسيط ، إلى الغلق بإحكام وشدة ، ولا ننسى بذلك جهود ابن جني في هذا الشأن، حين وضع أبوابا للدلالة مثل (باب في قوة اللفظ لقوة المعنى)، وباب في (مناسبة الألفاظ للمعاني).

و إذا أخذنا مثلا الفعل كتب نستطيع أن نصيغ منه صيغا كثيرة منها ، الفعل المضارع يكتب، الأمر اكتب، اسم الفاعل كاتب، صيغة المبالغة كتاب، اسم التفضيل أكتُب، واسم الزمان والمكان مكتب، واسم

الآلة مكتب، فكل تحرك في معنى اللفظ المشتق عن المعنى الحر في ينقله إلى الاشتقاق الدلالي،³⁸ فكلمة (كاتب) بمعنى أديب أو محرر في صحيفة، تحركت فيها دلالة الكلمة عن مجرد الخط بالقلم ، ودخل فيها معنى المفكر والمبدع ، وما إلى ذلك.

3-4- علم الدلالة وعلم النحو: أعطى اللغويون منذ عهد مبكر عناية خاصة بوظائف النحو ومعانيه، فقد أكدوا أن الأنظمة اللغوية وقوانينها عنصر حاسم في تحديد الدلالة اللغوية وفهم المعنى ، لأن انشغالهم كان منصبا حول النص القرآني بغية فهمه وفك إبهاماته، فتغيير مكان الكلمات داخل الجملة يؤدي بالضرورة إلى تغيير المعنى أي تغيير الوظيفة النحوية، فهناك فرق مثلا بين قولنا: 'ضرب الأستاذ التلميذ' و 'ضرب التلميذ الأستاذ' ، فتغير كلمة أستاذ داخل الجملتين أدت إلى تغير معناها ، ففي المثال الأول عبرت عن الفاعل ، والمثال الثاني عبرت عن المفعول به ، ولو لم يؤد تغيير مكان الكلمات في الجملة إلى تغيير المعنى ، ما كان هناك فرق بين قولك: طارد الكلب القط وطارد القط الكلب،³⁹ وبين سيوبه علاقة ظاهرة ولازمة بين علم الدلالة والنحو عندما عقد باب المسند والمسند إليه، مبينا من خلاله أن بناء الكلام على أصل معين ومن خلال نظام نحوي معين، ومن ثم الانتقال من هذا الأصل إلى توليد نماذج فرعية كثيرة ، وما يطرأ على الصور الأصول والفروع من متغيرات عارضة، تقتضيها الصناعة النحوية، كل ذلك لغاية المعاني والدلالات،⁴⁰ هكذا يتبين في هذا الباب تشكل العلاقات التركيبية والدلالية.

وتعدت نظرة علماء العربية وظيفية القواعد النحوية وترتيب الألفاظ وفق تلك القواعد لتأدية المعنى إلى العلاقة بين مفردات التركيب، قال السكاكي: "اعلم أن علم النحو هو أن تنحو إلى معرفة التركيب فيما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها ليحترز بها عن الخطأ في التركيب من حيث تلك الكيفية وأعني التركيب، تقديم بعض الكلم على بعض ورعاية ما يكون من الهيئات."⁴¹ فلا نتوصل إلى المعاني المرادة إلا بتفحص الجمل وتركيبها وما مدى حدوث التقدم والتأخير فيها ، لأن الدلالات تتأتى من صورة خاصة في التأليف فلا بد أن يكون لكل كلمة تعلق بالأخرى ، وهذا ما يعرف بالإسناد ، فقد ارتبط النحو بالإسناد كما يلاحظ في كتاب سيوبه " فالإسناد دلالة تركيبية في العربية الفصحى، وهو إما إسناد في الجملة الفعلية أو الاسمية، وأن القاعدة العامة التي تحكم تركيب الجملة أن كل علاقة تزيد في الجملة على علاقة الإسناد، إنما ينشئها المتكلم للبيان وإزالة الإبهام وغموض قد يعتري المعنى الدلالي للجملة، وإن لم ينشئ المتكلم تلك العلاقة."⁴² لأن الأساس هو الوصول إلى المعاني ولا يتأتى ذلك إلا بحسن التركيب والتأليف ، وهذا ما يطلق عليه الدلالة التركيبية أو حديثا ' علم دلالة الجملة' ، أو 'علم الدلالة التركيبي' ، وهو العلم الذي يهتم ببيان معنى الجملة أو العبارة، وقد بدأ بحث دلالة الجملة مواكبا لوضع علم النحو العربي،⁴³

وما يؤكد كلامنا ما تداولته الروايات حول أسباب نشأة علم النحو ، وذلك الانتشار الواسع للحن، فما روي أن ابنة أبي الأسود الدؤلي التي لحن بحضرتة ، فصوب لها خطأها ، ووصل اللحن حتى إلى قراءات القرآن الكريم في عهد الصحابة رضوان الله عليهم، فاستنكر اللحن كثيرا، وسبب انتشاره راجع لاختلاط العرب بالأعاجم ، وهذا ما عجل في وضع علم النحو، لحماية اللسان العربي من اللحن وإفساد المعاني والدلالات التي يحملها الكلام العربي ، ومن أمثلة اللحن الذي وقع، في قراءة آية من سورة التوبة" وأن الله بريء من المشركين ورسوله."⁴⁴ بجر لفظة 'رسوله' ، وهي بهذا المعنى معطوبة على المشركين وهذا باطل.

والدلالة النحوية رآها بعض اللغويين في تغيير المعنى بين الجملة الفعلية والاسمية ، فمثلا حين نقول في الجملة الفعلية: قام محمد ، والاسمية: محمد يقوم ، فالثانية تعطي توكيدا لا نجده في الأولى ذلك يأتي من إسنادها الفعل للفاعل مرتين ، مرة إليه وهو الاسم الظاهر ، ومرة إلى ضميره المستتر أي التوكيد الحاصل في المثال الثاني 'محمد يقوم' ، كان بإسناد الفعل إلى محمد مرتين ، مرة 'محمد يقوم' وهذا اسم ظاهر في الجملة (محمد) والثانية ضمير مستتر تقديره (هو) يعود على (محمد)، وطبعا الإسناد مرتين أقوى في الدلالة ، والأمثلة كثيرة، بفعل ما أوجده الجرجاني في نظرية النظم.⁴⁵

وكما رأينا أنفا أن الإسناد عنصر رئيس في الجملة، هو الذي يحقق المعنى المراد كما عبر عنها عبد القاهر الجرجاني بقوله: "لكل كلمة مع صاحبها مقال"، ويقول في باب الفصاحة والبلاغة: "فقد اتضح إذن اتضاحا لا يدع للشك مجالا، أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة، وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تلمها أو ما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة وتروفق، وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر."⁴⁶ فالألفاظ لها علاقة بما قبلها وما بعدها لكون التركيب اللغوي يشتمل مجموعة من العلاقات للوصول إلى الدلالة السياقية.

4-4 علم الدلالة والمعجم: يعد المعنى المعجمي تلك الرابطة والعلاقة بين علم الدلالة وعلم المعاجم، والمعنى المعجمي يتصل اتصالا وثيقا بعلم الدلالة وعلم المفردات وعلم المعاجم، فكل كلمة من كلمات اللغة العربية تحمل دلالة معجمية مستقلة عما توحيه أصواتها أو صيغتها من دلالات زائدة على تلك الأصلية، ويطلق عليها الدلالة الاجتماعية ، وعندما تنتظم الكلمة ضمن الجملة تضاف إليها كل الدلالات الأخرى ولا يتم الفهم إلا بالوقوف عندها جميعها ، والتصنيف المعجمي ضرب من النشاط الدؤوب للحفاظ على جوهر اللغة العربية الفصحى ، وبه أخذت تتكامل صورة مفردات اللغة على نحو يناظر ما كان من إقامة أركان النحو والصرف، كل هذا بغية حماية اللغة العربية من الوقوع في اللحن والخطأ، والتفقه في القرآن الكريم استدعى عناية بالغة بالغريب وشرحه حفاظا على النص القرآني ، وتنوعت هذه المعاجم وتفرقت واهتم بعضها بالألفاظ واختلف حسب ترتيب الألفاظ من حيث المخارج الصوتية وبمقاييس صرفية ، وكذلك الإعلال والتضعيف ، وبأساليب اعتبار تقاليد الأصل الواحد، واهتمت معاجم أخرى بالموضوعات أي

حرصت على ترتيب مجموعة من الألفاظ و إخضاعها إلى سياق معين وقد كان هذا التراث اللغوي العربي عندما وضع جامعو اللغة ما يسمى بالرسائل اللغوية مثل كتاب الإبل وغيرها، وهكذا ظهرت علاقة متينة بين علم المعاجم وعلم الدلالة، الذي يعنى بالمعنى الذي تحمله اللفظة ، فهذا التصنيف الموضوعي أكبر دليل على وجود علاقة تعرف بالمعنى المعجمي.⁴⁷

"وقد عرّف بعض علماء اللغة علم الدلالة بأنه ذلك الفرع من علم اللغة الذي يقوم بدراسة المعنى المعجمي.⁴⁸ رغم أن هذا التعريف يكاد يحصر وظيفة علم الدلالة في أنه يهتم بدراسة المعنى المعجمي لوحده، إلا أنه استطاع أن يبين لنا علاقة لازمة بين علم الدلالة والمعجم.

إذن يمكننا اعتبار علم المعاجم جزءا من علم الدلالة، كون علم الدلالة يهتم بدراسة المعنى على صعيدي المفردات والتراكيب، ولا يمكن لعلم الدلالة دراسة المعنى بعيدا عن المعاني الرئيسية أي المعاني المعجمية، ثم يتجاوز علم الدلالة ذلك، إلى معان نحوية ثم معان اجتماعية.

5- علاقة علم الدلالة بالعلوم الأخرى: لم تكن نشأة علم الدلالة نشأة مستقلة عن باقي العلوم اللغوية الأخرى، فإذا عدنا إلى تاريخه نجد جزءا لصيقا بعلم اللسانيات ، الذي كان يهتم بدراسة اللسان البشري ، إلا أن " تجاهل علماء اللسان دلالة الكلمات، هو الذي دفع بعض العلماء اللغويين إلى البحث عن مجال علمي يضم بحثا في جوهر الكلمات ودلالاتها وهذا ما أشار إليه 'بريل'.⁴⁹

فعلماء اللسان ركزوا بحوثهم في الجوانب الصورية للغة، أي شكل الكلمات وتجنبوا الخوض في استبطان جواهر الكلمات ومعانيها، الذي أصبح حديثا من اهتمامات علم الدلالة، ولم يكن شأن الدلالة يعني اللغويين فقط، بل تجاوز الاهتمام ذلك وتعدد وأرق العلماء والباحثين على اختلاف تخصصاتهم ومنطلقاتهم ، " فاهتم بها الفلاسفة والمناطقة وعلم النفس وعلماء الاجتماع، وغيرهم.⁵⁰ وارتبط علم الدلالة ارتباطا وثيقا بالفلسفة والمنطق باعتبار أن إرادة المعنى وتحصيل الكلام كما هو معروف هو منتهى الكلام، " إذ لا يعقل أن يتكلم متكلم وهو لا يعني، أو لا يربط حبل التواصل بغيره وهو لا يريد أن يدل.⁵¹ لذلك كان الاهتمام كبيرا بعلم الدلالة، والمعنى أصبح محور اهتمام جميع العلوم.

1-5- علم الدلالة والفلسفة والمنطق: لقد لمحنا فيما سبق إلى علاقة وطيدة ربطت علم الدلالة بالفلسفة والمنطق ، بل إن الفلاسفة والمناطقة اهتموا اهتماما كبيرا بعلم الدلالة حتى عد من اختصاصهم في تلك الحقبة، ليستقل بعد ذلك شيئا فشيئا ويصبح موضوعا من مواضيع علم اللغة ، " فالفلسفة تقوم بشرح ما يتوصل إليه علم الدلالة وربما كان علم الدلالة إجابة عن سؤال للفلسفة.⁵²

هذا لكون الفلسفة أم العلوم تمتد اهتماماتها لتشمل كل النتائج التي تتوصل إليها العلوم الأخرى، وتعكف الفلسفة على شرحها وتحليلها ، " فقد ظلت دراسة جانب المعنى من اللغة حكرا على الفلاسفة وعلماء الإناسة لعقود طويلة، قبل أن يستقل في العصر الحديث، ويصير شأنها لغويا له أهله ودارسوه.⁵³

هكذا إذن كانت الفلسفة السابقة إلى دراسة المعاني وتحليلها، لذا نستطيع القول أن اهتمامات علم الدلالة كانت من اختصاص الفلاسفة قديما، إذن هنا يدوب الفرق بين الفلسفة وعلم الدلالة كونهما اهتما بموضوع واحد وهو دراسة المعنى، وهذا ما يبين بوضوح قدم العلاقة بين الفلسفة وعلم الدلالة، واليونان كما هو معروف تعد مهد الفلسفة والمنطق، واهتمامهم بعلم الدلالة ينبئ ولا شك بالعلاقة القوية والمتينة التي تربط الفلسفة بعلم الدلالة، وأبرز دليل على ذلك تلك التساؤلات والإشكالات التي طرحها فلاسفة ذلك العصر والمتعلقة بالمعنى، ما هي شروط العدالة؟ وماذا تعنون بهذه الكلمة المجردة؟ وماذا تعنون بكلمة الشرف والفضيلة؟ والأخلاق الوطنية؟⁵⁴ فهذه ولاشك إشكاليات متعلقة بالمعنى، بمعاني المصطلحات المطروحة و أبعادها وهذا ما يكون من صميم واختصاص علم الدلالة.

"كما تساءل فلاسفة اليونان عن كون العلاقة بين شكل الكلمة ومعناها ضرورية أم لا؟"⁵⁵
 هنا تتضح علاقة تكاملية بين علم الدلالة والفلسفة والمنطق أساسها المعنى.

2-5- علم الدلالة وعلم النفس وعلم الاجتماع: يأتي علم النفس في المرتبة الثانية بعد الفلسفة من حيث اهتمامه بالدلالات وبالمعنى، واهتم علم النفس بمعالجة الجانب الذاتي للغة، نتيجة اهتمامه بالإدراك، باعتبار الإدراك ظاهرة فردية، فقد طور علماء النفس وسائل عدة للوصول إلى معرفة درجة التفاوت والاختلاف بين الناس في إدراك الكلمات، أو في تحديد ملامحها الدلالية "كذلك يهتم علم النفس بكيفية اكتساب اللغة، عملية وتعلمها ودراسة السبل التي بها يتم التواصل البشري وغير البشري عن طريق اللغة."⁵⁶ فعملية التواصل أساسها التفاهم أي عملية تتطلب وجود معنى لكي يتم التواصل، واهتمامات علم الدلالة لا تقل شأنًا عما يبحث فيه علم النفس، وأبعد من ذلك نجد علم الدلالة يهتم بالناس وعاداتهم الاجتماعية وطرق الاتصال القائمة بينهم والألات والوسائل المستخدمة في ذلك، "حيث يتجاوز اللغة بوصفها مظهرًا فرديًا منعزلًا إلى كونها ظاهرة اجتماعية تحمل مظهر الاستعمال الفردي المطبوع بطابع الجماعة اللغوية، فتحدث عملية التفاعل اللغوي ولا تتحقق إلا في المجتمع، باعتبار اللغة أداة تواصلية، والفرد حيث يتلقى اللغة فهو يتلقى معها ثقافة المجتمع وحضارته ودينه وعاداته وتقاليده."⁵⁷ تنشأ بهذه الصورة علاقة تكاملية بين علم الدلالة وعلم النفس وعلم الاجتماع فكل طرف يصب اهتمامه على جانب المعنى، ثم بواسطة المعنى الذي يختلف من شخص لآخر نتيجة ارتباطه بالإدراك فكل فرد وطريقة إدراكه للموجودات وللمعاني وهكذا تتحقق العملية التواصلية في المجتمع.

3-5- علم الدلالة والحقائق البيولوجية والفيزيائية: يتوجه جزء كبير من اهتمامات علم الدلالة إلى العمليات العضوية المركبة في الفم، وفي أعضاء النطق بالنسبة للمتكلم، ويتبع ما يحدث من اهتزازات هوائية تلتقطها أذن السامع وهو يسير وراءها أبعد من ذلك ليرى كيف تتحول إلى إشارات عن طريق الجهاز العصبي، وكيف يتلقى العقل هذه الإشارات من خلال الأعصاب الممتدة من الأذنين، وترجمها بعد ذلك إلى

الفكرة التي يعنىها المتكلم⁵⁸ وهذا لا يستطيع الدرس الدلالي أن يستغنى عن الكثير من الحقائق البيولوجية والفيزيائية والفيزيولوجية، هكذا يتبين امتداد علم الدلالة وعلاقاته.
- الهوامش:

- ¹ الأزهرى، تهذيب اللغة قسم (دلل) دار إحياء التراث العربى، بيروت ط1، ص14
- ² الأصفهاني، المفردات، دار المعرفة بيروت، لبنان، ص173.
- ³ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، 1997، ص28
- ⁴ المرجع نفسه، ص28
- ⁵ ينظر: محمود السعران، علم اللغة، دار الفكر العربى، القاهرة ط2، 1997، ص264.
- ⁶ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة ط5، 1998، ص11
- ⁷ ينظر: المرجع نفسه، ص12/11
- ⁸ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص12
- ⁹ محمد محمد يونس على، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004، ص12
- ¹⁰ ينظر: المرجع نفسها، ص12
- ¹¹ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص17
- ¹² فايز الداية، علم الدلالة العربى، ص7.
- ¹³ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص18
- ¹⁴ المرجع نفسه، ص18
- ¹⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص20
- ¹⁶ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص18
- ¹⁷ فايز الداية، علم الدلالة العربى، النظرية والتطبيق، ص8
- ¹⁸ محمود السعران، علم اللغة، ص273
- ¹⁹ ينظر: المرجع نفسه، ص239/238
- ²⁰ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص23
- ²¹ المرجع نفسه، ص24
- ²² ينظر: المرجع نفسه، ص24
- ²³ ينظر: المرجع نفسه، ص29/28

- ²⁴ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 20
- ²⁵ محمود السعران، علم اللغة، ص 259/258
- ²⁶ عقيد خالد حمودي العزاوي، علم الدلالة، دراسة وتطبيقات، دار العصماء، دمشق، سنة 2011، ص 10
- ²⁷ الجاحظ، البيان والتبيين 1، المطبعة الرحمانية، القاهرة، 1932، ج 1، ص 139
- ²⁸ ينظر: عقيد خالد حمودي العزاوي، علم الدلالة، دراسة وتطبيقات، ص 12
- ²⁹ ينظر: المرجع نفسه، ص 14
- ³⁰ ينظر: هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص 50
- ³¹ المرجع نفسه، ص 50
- ³² ينظر: هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص 51
- ³³ سورة الرحمان، الآية 66
- ³⁴ عقيد خالد حمودي العزاوي، علم الدلالة، ص 26
- ³⁵ أحمد الحملوي، شذا العرف في فن الصرف، مؤسسة الرسالة، ط 1، بيروت 2003، ص 15
- ³⁶ أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 13
- ³⁷ سورة يوسف، الآية 23
- ³⁸ ينظر: عقيد خالد حمودي، علم الدلالة، ص 28
- ³⁹ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص 13
- ⁴⁰ ينظر: هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، ص 109
- ⁴¹ عقيد خالد حمودي، علم الدلالة، ص 45
- ⁴² المرجع نفسه، ص 45
- ⁴³ ينظر: المرجع نفسه، ص 45
- ⁴⁴ سورة التوبة، الآية 03
- ⁴⁵ ينظر: عبد العزيز أحمد علام، في علم اللغة العام، مكتبة المتنبّي، ط 1، السعودية، 2006، ص 262
- ⁴⁶ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 38/39
- ⁴⁷ ينظر: فايز الداية، علم الدلالة العربي، ص 204/205
- ⁴⁸ خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، بيت الحكمة، ط 1، 2009، ص 95
- ⁴⁹ ينظر: منقور عبد الجليل، علم الدلالة، أصوله ومباحثه، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 19
- ⁵⁰ خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ص 88
- ⁵¹ نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر-2007، ص 48

52 خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ص15

53 نواري سعودي، الدليل النظري في علم الدلالة، ص54

54 ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص15

55 خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، ص16

56 أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص15

57 المرجع نفسه، ص15

58 ينظر: أحمد مختار عمر، ص16

المراجع المعتمدة:

- 1- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو مصرية، 1997
- 2- أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت 2003
- 3- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة ط5، 1998
- 4- الأزهرى، تهذيب اللغة قسم(دلل) دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1
- 5- الأصفهاني، المفردات، دار المعرفة بيروت، لبنان، ط1، 1412هـ.
- 6- الجاحظ، البيان والتبيين 1، المطبعة الرحمانية، القاهرة، 1932، ج1
- 7- خليفة بوجادي، محاضرات في علم الدلالة، بيت الحكمة، ط1، 2009
- 8- عبد العزيز أحمد علام، في علم اللغة العام، مكتبة المتنبي، ط1، السعودية، 2006
- 9- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، مطبعة المدني بالقاهرة، ط3 1992
- 10- عقيد خالد حمودي العزاوي، علم الدلالة، دراسة وتطبيقات، دار العصماء، دمشق، سنة 2011
- 11- فايز الداية، علم الدلالة العربي، النظرية والتطبيق، دار الفكر المعاصر ط9، 2011
- 12- محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2004
- 13- محمود السعران، علم اللغة، دار الفكر العربي، القاهرة ط2، 1997.
- 14- منقور عبد الجليل، علم الدلالة، أصوله ومباحثه، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001
- 15- نواري سعودي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى، عين مليلة-الجزائر-2007
- 16- هادي نهر، علم الدلالة التطبيقي، دار الأمل، عمان، الأردن، ط1، 2007.